

ملخص الدراسة:

عند دراسة القضايا ذات الأبعاد النفسية في المجتمع الفلسطيني، فإنه لا بد وأن تتم مراعاة لخصوصية المجتمع؛ كوننا أخصائيين نفسيين نتعاطى مع الأبعاد النفسية والثقافية للمجتمع. فنظراً لتوالي الصدمات على المجتمع الفلسطيني بسبب ظروف الاحتلال، أدى هذا الأمر إلى خلق حالة من الاضطرابات النفسية للأفراد لا سيما أننا مجتمع يتعرض للاعتقالات والاجتياحات. تطبيق مقياس PTSD الذي جاء بالأساس لقياس مقدار التعرض للصدمة للجنود الأميركيين بعد حرب فيتنام، لا يكون بتلك الفاعلية في السياق الفلسطيني كما هو فعال في السياق الذي نشأ فيه. وهذه مشكلة المقاييس النفسية التي تطبق على واقعنا والتي تعد منفصلة عنه بشكل كبير.

وبالنظر للجانب المنهجي في الدراسات التي تناولت موضوع الصدمة النفسية، فإن غالبيتها اعتمدت المنهج الكمي في التعاطي مع معطيات هذا المفهوم. الأمر الذي يعني إسقاط كثير من الحالات عند التعامل مع معاملات الارتباط. كما أن هناك عدد كبير من أنواع أحداث العنف يتم استثناءها من الدراسات لاعتبارات إحصائية بحتة، بحيث لا يبقى في الدراسة عن تأثير العنف على الصحة النفسية سوى عدد بسيط جداً من أنواع أحداث العنف (كناعنة وتتلاند، 2003).

وبما أن الأفراد في المجتمع الفلسطيني يستهدفون من قبل الاحتلال الإسرائيلي كجماعة، فإن كيفية تعاطيهم مع الحدث الصادم لا بد وأن يتم قياسها ودراستها على المستوى الجماعي، لأن مثل تلك المنهجية يمكن لها أن تعطي فهم أعمق لآليات التكيف الجماعي، وليس اختزالها ضمن بنود محددة لا تعبر عن المعنى الذي يدركه الأفراد في دواخلهم جراء تعرضهم لتجربة العدوان.

من هذا المنطلق، جاءت هذه الدراسة للوقوف على دور الهوية الجماعية الفلسطينية في تحقيق التوافق النفسي للأفراد في المجتمع الفلسطيني في أعقاب التعرض للصدمة الناجمة عن العدوان العسكري، باتباع المنهج الكيفي. حيث قمت بإجراء مقابلات كيفية معمقة مع ثلاثة عشر جريح وجريحة من الانتفاضة الثانية، في مناطق الضفة الغربية والتعمق في تجربتهم مع العدوان العسكري الإسرائيلي لمعرفة العوامل التي ساعدتهم على التكيف عقب تعرضهم للصدمة النفسية بفعل الاعتداء العسكري الإسرائيلي. قمت بتفريغ البيانات باللغة المحكية للمشاركين في الدراسة، وتحليلها استناداً لمبدأ النظرية المجذرة (Grounded Theory) والتي تعتمد على تشكيل المحاور من البيانات التي تجمع من الباحثين أنفسهم، بشكل استقرائي؛ من الواقع للنظرية، بالوقوف على النقاط المشتركة التي تم الحصول عليها من الباحثين والعودة بها للنظرية، لمعرفة أين تدعم هذه النتائج المواد النظرية في مجال الدراسة وأين تختلف معها.

بحيث قمت بدمج للمواضيع ذات المعنى النظري المشترك؛ كخطوة في عملية التحليل الكيفي للبيانات (مكاوي، 2002). وبالتالي، تشكيل محاور (Themes) نظرية من البيانات التي تم الحصول عليها من المبحوثين (Glaser & Strauss, 1967). حيث كانت أبرز العوامل التي ساعدت الأفراد على التكيف عقب الصدمة الناجمة عن العدوان العسكري تتمثل بأربعة محاور:

أولاً: الهوية الوطنية كعامل محفز للمشاركة في النضال ضد الاحتلال وعامل مساعد على التكيف في أعقاب التعرض للعدوان العسكري الإسرائيلي.

ثانياً: دور الأسرة والدعم المجتمعي في تخفيف الآثار التي تسببها الصدمة الناجمة عن العدوان العسكري الإسرائيلي.

ثالثاً: المعتقدات الدينية والمعتقدات السياسية _ العضوية الحزبية كعامل مساهم في تحقيق التوافق النفسي للأفراد في أعقاب التعرض للصدمة الناجمة عن العدوان العسكري الإسرائيلي.

رابعاً: الجلد الشخصي ودوره في تقليل الضرر الناجم عن التعرض للصدمة الناجمة عن العدوان العسكري الإسرائيلي.

نستنتج من مجمل هذه النتائج أهمية التعرض للسياق العام الذي يتخلله العنف الهادف للنيل من التوافق النفسي للأفراد وعدم حصره فيعدد من العوامل الفردية التي لا تعطي معنى عميق لطبيعة تكيف الأفراد وتجاوزهم للأحداث الصادمة التي تمر بهم بفعل ممارسات الاحتلال الإسرائيلي الرامية لإضعاف حصانتهم النفسية. بناء على ذلك، قمت بصياغة جملة من التوصيات التي من شأنها العمل على مواصلة البحث في ميدان الهوية الجماعية والذي من شأنه التأسيس لقاعدة معرفية يتم الاستناد عليها لبناء مقاييس نفسية تتلاءم وطبيعة السياق الفلسطيني.